

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

*The Arab poet Abd AL-Muhssin AL-Kadhmi and his
patriotic, Political stances*

Asst.Inst. Abbas J. Kadhim

م.م. عباس جعفر كاظم^(١)

ملخص البحث

ان تنمية الروح الوطنية يعد احد اهداف تدريس مادة الادب على مستوى المرحلة الثانوية ويهدف البحث الى التعريف بالمواقف الوطنية والسياسية للاديب العراقي الشاعر عبد المحسن الكاظمي. ومن خلال شعر الشاعر يمكن التعرف على نموذج من الشعراء الوطنيين في الادب العراقي الحديث وذلك لكي يسهل استيعاب مفهوم الوطنية المتوازنة البعيدة عن التطرف والتعصب وكذلك رفع روح الوطنية القائمة على التجربة الواقعية التي عاشها ادباء عراقيون حملوا هم الوطن بصدق وامانة. فجاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وقد أحاط التمهيد بشيء من حياته وسيرته فجاء المبحث الأول عن المعاني الوطنية في شعر الكاظمي، وتناول المبحث الثاني موقفه من الدولة العثمانية أما المبحث الثالث فتناول مواقفه من الاحتلال البريطاني والثورة العربية. فالبحث يعالج موضوعا مهما في الحياة الانسانية بشكل عام وفي شعر الاديب العراقي عبد المحسن الكاظمي بشكل خاص الا وهو الموقف الوطني والسياسي للشاعر.

Abstract

Developing of nationalist spirit is considered as one of the goals of literature education on secondary level, the research aims to identify national and political statuses of the Iraqi author the poet Abdulmohsin Al-Kadhmi.

Through the poetry of the poet, identifying of nationalist poets in the modern Iraqi literature could be done in order to facilitate the comprehension of balanced nationalism concept away from extremism and bigotry as well raising of standing nationalist spirit above realist experiment which Iraqi authors lived, those who carried the concern of nation honestly and truthfully .

Research has come into three topics, preface has come mentioned some of his life and biography, first topic has contained national meanings in Al-Kadhimi poetry, second topic has dealt with his status of the ottoman state, while the third topic has dealt with the British occupation and the Arabian revolution.

The research is treating an important issue in the humanitarian life in general and in the poetry of the Iraqi author the poet Abdulmohsin Al-Kadhmi in particular, which is the poet's national and political status.

المقدمة

الوطنية هي حب الوطن والتعلق به والاخلاص والتضحية من اجله وهي كذلك مصطلح يستخدم للدلالة على المواقف الايجابية والمؤيدة للوطن من قبل الافراد والجماعات. وان مفردتي (وطنية) و(وطن) كليهما تشيران الى الانتماء السياسي.

والوطنية عامل انساني ايجابي مشروط بعدم التعصب والتطرف الذي يعزل شعباً ما عن محيطه الاقليمي والعالمي. والشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي نموذج واقعي فهو يمتلك شعوراً وطنياً معبراً عن حب العراق في كل الاحوال والظروف اذ انه كان يحب العراق ويخلص له ويضحى من اجله ويعمل على نصرته ويدعو الى استقلال بلاده.

ونلاحظ ذلك جلياً من خلال ادبياته وخاصة شعره الوطني الحماسي في ذكر العراق وتمجيده والدفاع عن قضاياه.

وان استقراء شعره يكشف ارتباطه الوثيق بوطنه العراق الا انه لم يكن متطرفاً ولا متعصباً في وطنيته وانما كان يمتلك نزعة وطنية منفتحة على بلاد المشرق عموماً ولاسيما البلاد العربية وهذا ما تكشفه المواقف السياسية التي ييوج بها عبر نصوصه الشعرية.

والموضوع يخدم حالة تربوية يجب ان يرتقي لها الشاب العراقي في ظرف صعب يدعو الى ايجاد امثلة تاريخية حية سهلة التقليد عليها تسهم في بناء الشخصية الوطنية عند بعض الشباب ممن هم بحاجة ماسة لمثل هذه المفاهيم.

وسيعالج البحث الشعر السياسي الوطني عند شاعر (البداهة والارتجال) الأديب عبد المحسن الكاظمي.

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

والكاظمي (شاعر العرب) هو لقب فخم ضخم لم يطلق عليه عبثاً إنما كان الرجل جديراً وأهلاً له، وشعره يشهد له بذلك. فكان الكاظمي مع العراق ضد الأتراك العثمانيين ومع العراق ضد الاحتلال البريطاني وهذا ما تناوله البحث.

وقد اعتمد البحث مصادر أساسية مثل ديوان الشاعر المطبوع عدة طبعات، طبعة دمشق، وطبعة مصر، وطبعة دار الحكمة في لندن، وإن الطبعة الأخيرة من الديوان هي الأكثر اعتماداً في توثيق النصوص الشعرية. وكانت رسالة الدكتوراه للأستاذ (رؤوف الواعظ)، ورسالة الدكتوراه للأستاذ (محسن غياض) خير مصدر اعتمدته البحث في استقصاء مادته، ومصادر أخرى وردت في القائمة، والحمد لله رب العالمين.

كما أود أن أشكر العاملين على إدارة مكتبة العتبة الحسينية والعباسية وكذلك الشكر موصول إلى القائمين على شعبة البحث والتطوير في مديرية تربية كربلاء المقدسة.

تمهيد

عبد المحسن بن محمد بن الحاج علي بن محسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النجفي، ينتهي نسبه لأبيه إلى قبيلة نخع اليمانية وينتهي نسبه لأمه زينب مهدي الزركش الملقب بـ (البير) إلى الشريف الرضي. ولد ببغداد يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان سنة ١٢٧٨ هـ الموافق لليلة بقيت من تشرين الأول سنة ١٨٧١ م ونشأ في دار والده بالكاظمية^(٢).

تعلم الشيخ عبد المحسن الكاظمي مبادئ القراءة والكتابة وتعلم اللغة الفارسية بجانب العربية ودرس في الحلقات الدينية في الكاظمية والنجف وترعرع بين أحضان أسرة عرفت بالأدب والعلم. والكاظمي كان شاعراً قد درج بين بيئات الأدب وحلقات الأدباء ودرس العلوم الإسلامية كما اطلع على الآداب الفارسية وأول ما نظم الغزل فالرثاء فالفخر. فنشأ شاعراً مجيداً يقول عنه السيد عز الدين آل ياسين (كان يملئ شعره عن طبع وافق ووحى حاضر وبديهة مستعدة وروح قوية وقريحة متحفزة وله في الشعر نفس طويل يعود إلى كثرة ما كان مختزناً في حافظته من شعر العرب)^(٣). والظاهر أن بلاد العراق لا تزال أقرب إلى السليقة العربية وأن النابغين فيها (أكثر من) غيرها ولقد واثى هذه البلاد أكثر من رجل فاضل جدير بلقب (الأديب) وقلت الجدير به في العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة إلى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد)^(٤).

أثر الكاظمي تأثيراً مباشرة على النهضة الأدبية وهو خير أديب تفتخر به العروبة وتعتز به الضاد وقد لقب بشاعر (البداهة والارتجال) وبـ (شاعر العرب) وبـ (شاعر الكفاح الخالد) وهي ألقاب تعكس لنا شخصيته الشعرية التي جمعت بين المتانة والفصاحة والبلاغة والجزالة وبين نزعتيه الوطنية التي كانت تدفعه إلى مقارعة الاستبداد والاستعمار. وكان شعره يمتاز بعذوبة الألفاظ

٢- ينظر معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث، ولهم ديوان مطبوع، د. جعفر صادق حمودي التميمي، ٢٩٦/١.

٣- عبد المحسن الكاظمي سيرة وشعر وفكر، سعد محمد الزبيدي: ١.

٤- م. ن: ١.

والمعاني وفصاحة البيان حتى صنف على رأس الشعراء أمثال (أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، والرصافي، والزهاوي) (٥)

المبحث الأول: مفهوم الوطنية في شعر عبد المحسن الكاظم

نعني بالوطنية جملة الخصائص المكونة لرؤية الفرد لأرض معينة وللمجموعة البشرية التي تشاركه الانتساب إليها وما يمازج تلك الرؤية من موقف عاطفي وجداني وتصورات للتعامل الإيجابي مع تلك الأرض وتلك المجموعة بما يكفل ازدهارها ومناعتها (٦).
وقد قال الكاظمي (٧):

الوطن الروح وما أهله إلا الجسد

الشاعر في البيت عدّ الوطن بمثابة الروح، أما المواطنون المنتسبون إليه فمأهم إلا جسد لهذا الوطن لأحياة لهم بدون روح الجامعة لكل منتسب لأرضه.
ورغم هجرته من وطنه ملتصقا بالنجاة بنفسه من جور الحكام فأن الشوق والحنين حيث يذكر وطنه المهجور نسمعه يقول (٨):

وكم قال سر نحو مصر ترى المني فقلت لهم والدمع منى مطلق
وأنت على كل البلاد أمير أسير وقلبي في العراق أسير

رغم ان مصر في زمان هجرة عبد المحسن الكاظمي كانت افضل حالا وكان لها دور بارز في السياسة العربية، والحياة فيها ربما تعطي الفرد استقراراً أكثر الا ان الشاعر يسافر إليها هرباً من عيون السلطات المحتلة لبلده وقلبه اسيراً لحب بلده العراق.

ونجد في قصيدته ذكراك (يا وطن الصبا) حنيناً وألماً بسبب فراقه (٩):

روض الأماني منك خضل في كل يوم مطلع وإذا القلوب تراسلت ذكراك يا وطن الصبا وإذا خلا قلب فقل عهدي بعرقك لا يكل أخبت زودك أو وهت أولاك أقوامي الألى
يخني كما يشتر نخل وهلال آمال يهل فصواق الآمال رسل ذكراي أرحل أوأحل سي من همومك ليس يخلو عند الخطوب ولا يفيل تلك السواعد فهي فتل (١٠)
مجدا إن الأقوام جلوا

٥- عبد المحسن الكاظمي، سيرة حياة وفكرة الانسجام الثنائي بين الصورة والمعنى في شعره، د. سعاد محمد الزبيدي: ٧.

٦- ينظر أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث:

٧- ديوانه: ٢١٩، ط ١، دمشق (المجموعة الأولى).

٨- ديوانه، ط ١، دمشق (المجموعة الأولى): ٤٣.

٩- م. ن: ٦٨٢.

١٠- شيء خضل: أي الرطب، والخضل: النبات الناعم، لسان العرب: ٢٠٨/١١، يشتر: شار العسل يشروه واشتاره يشتره: اجتباه من خلاياه ومواضعه، لسان العرب: ٤٣٤/٤.

١١- الاخبات: الخشوع والتواضع، لسان العرب: ٣٧/٢، وهت الشيء وهتا: داسه دوسا شديداً، م. ن: ١٠٩/٢.

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

ب على ذرى الدنيا أطلوا
وبدورها إما تجلوا

من فوق عالية القبا
فهم مصاييح الهدى

المخاطب في الابيات هو العراق، والشاعر بين ان وطنه عبارة عن روض من الاماني وان هذا الروض يزهو مخضراً، ومن يرومه يجد فيه الرحيق الذي يسهل جنينه لوفرتة، وهذه صورة للخير الوفير. وان شروق الشمس وبزوغ القمر كما في البيت الثاني اعلان عن يوم جديد ويشير الى ولادة امل. وان ترأس القلوب لهذه الاماني تصادق عليها رسل الامال المتتابعة.

والشاعر لا يكاد يفارق ذكرى وطنه العراق والحنين اليه رغم ان اسباب الحياة ومشقتها تأخذ منه الكثير في دار الغربة.

ثم يستفهم مستنكراً (اخبت زنودك اوهت) وذلك لعلمه ان سواعد العراقيين (قتل) لاتفلها الخطوب، فان اهل بلد القباب العالية يطلون على الدنيا من فوق هذه القباب التي باتت رمزاً للشموخ والعزة والكرامة وكل ماهو خير.

وقد هاجر الكاظمي بعد أن ضاق ذرعاً بما لقي فيه من فقر وعوز ولكنه لم ينس العراق قط طول تلك السنوات التي عاشها في مصر فقد كان دائم الحنين إلى الوطن والتشوق إلى ربوعه وتمنى العودة إليه والعيش فيه وقد بقي هذا الحنين إلى الوطن في نفس الكاظمي قويا يتزايد ويقوى ويعمق أثره على مرور الأيام ولم يخفف منه ذلك النجاح الذي أصابه الكاظمي في أرض مصر ولا تلك الشهرة العريضة التي حققها لنفسه فيها والحنين إلى الوطن والتشوق إليه ظاهرة بارزة جدا في شعر الكاظمي فلا تكاد تخلو قصيدة له من ذلك منذ دخوله مصر حتى وفاته فيها.

وانك لتجد في حنينه هذا إلى الوطن عاطفة قوية جياشة وألماً ممضاً وإخلاصاً رائعاً لم تضعفه الأيام^(١٢) وأسمعه يقول من قصيدته^(١٣):

وقلبك في العراق جوى يذوب
ولا يجدي البكاء ولا النحيب

وفي مصر أراك وأنت لاه
فكم وإلى م تنحب ثم تبكي

وكذلك نرى هزته وحنينه إلى وطنه وقد امتزج ذلك بالأسى والإشفاق على هذا الوطن الذي ما فتأت ذكرياته تخايل نفسه، فيعصف به الحنين إليه على حد قوله^(١٤):

ففؤادي بالكرخ ظل رهينا
أن أنادي رفأقي الأقدمينا

أن يكن بات في الكنانة جسمي
أرفاق الصبا، وليس حراما

ويشده الحنين إلى بلاده ويتشوق إلى أرض الرافدين، حيث مراتع صباه وملاعب وجده وإليك قوله^(١٥):

يطلع أوزورة تطرق

ألا خير من ثايا العراق

١٢- ينظر شاعر العرب، د. محسن الغياض: ١٧٥.

١٣- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ٣٠٤.

١٤- ديوانه، ط / لندن: ١١٣.

١٥- ديوانه، ط / لندن: ٣٨.

فالوطنية هي معنى الشعور بحب الوطن وتشتمل على ما يثبه الشاعر من حب وشوق^(١٦)... والكازمي يجعل من العراق أغلى أمنياته وهذا أعلى سمات الوطنية فأسمعه يقول^(١٧):

يا أحبائي والتعطف دين
لو علمتم ما حل به
لست أبكي على انقضاء حياة
وطني! أنت كل ما أتمنى
أين في الكرخ عهدنا المعهود
لعلتم أن خطي من بعدكم الشديد
ليس فيها لموطن تخليد
من حياة وأبتغي وأريد

ولبغداد مكانة خاصة في قلب شاعرنا الكازمي تأمل في قصيدته التالية^(١٨):
إذا ما قيل بغداد كوها
ومن شاء الوقوف على اعتقادي
أحب الكرخ أسمع أو أراه
وأهوى في الرصافة ما جنته
بلا عجة الحنين فقد كواني
فدين أول والكرخ ثاني
وليس الكرخ يسمع أو يراني
وما أهوى سوى غرر الجاني^(١٩)

ويعاهد بغداد على الوفاء لها والتفاني في سبيلها فيخاطبها على البعد^(٢٠):
أبغداد أبشري وثقي بأني
ولو أعطيت ملك الأرض طرا
بجيك سالك سبل التفاني
بغير هواك عيشي ما هنائي

ونراه يحبي بغداد ويحن إليها متشوقا^(٢١):
أبغداد لا فاتك مني تحية
حنينا إلى أرض حيت بتربها
يفسر منها ما أراد المفسر
ويا ليتني في ذلك الترب أقبر

ويظهر من شعره إن له وطناً أكبر في الجغرافية من العراق وهو بذلك يريد للعرب بلادا موحدة لا حدود فيه ولا سدود كما يقول في هذه القصيدة^(٢٢):

إنما الشام والعراق ومصر
سينال الجميع بعد قليل
فتعود البشري لنا تلوى بشري
ليعيش كل طالب عربي
أخوات وأن تفرقن حينا
ما رجاءه الخير الراجونا
نتغنى بذكرها طربينا
وليقل عند دعوتي أمينا

يبوح الشاعر في هذه الأبيات بوجه آخر من وجوه الوطنية ليشمل في أمنياته البلاد العربية، ويرى أن الحدود وإن كانت ضرورة لحفظ بعض المصالح ولكن يجب أن لا تكون حائلا دون تواصل شعوبها وتعاضدهم في سبيل مصلحة أكبر وطموح أوسع.

ويبدو أن للكازمي نظرة للوطن تشمل الشرق من حيث الجغرافية فأسمع قوله^(٢٣):

١٦- ينظر معجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ٨٨٥/١.

١٧- ديوانه، ط / لندن: ١٥٥.

١٨- م. ن: ١١.

١٩- المجاني: من (الجن) وهو خلط الجد بالهزل، لسان العرب: ١٣/٤٠٠.

٢٠-

٢١- شاعر العرب عبد المحسن الكازمي، د. محسن غياض: ١٧٧.

٢٢- ديوانه، ط / لندن: ٤٢١.

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية
أعضاء أن بايعت لا تنقض البيع
رأيت في مصر عضوا يشتكي الوجعا
وجدت في جلق طرفا لها دمعا
رأيت في فارس من يدفع الجشعا
أن تلبس الذل حيث الذل قد نزعا

كأنما الشرق جسم والشعوب به
إذا اشتكى عضوها الهندي من وجع
وأن تبينت في بغداد ذ شجن
وأن أناخ على الأفغان ذو جشع
أبا الشعوب أفق أن الشعوب أبت

في الابيات يشبه الشاعر الشرق الاوسط بالجسم الواحد، وإن دوله اعضاء لهذا الجسم، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وذكر بعض هذه الدول مثل الهند ومصر وبغداد وجلق وافغانستان وفارس. ثم يخاطب حكام هذه الدول ان افيقوا فان شعوب الشرق تأبى ان تلبس الذل. ولاشك ان هذه الابيات تعد صرخة مدوية للتحرر والاستقلال من التبعية.

المبحث الثاني: موقف الكاظمي من الأتراك العثمانيين

لقد ضاق المفكرون والأدباء بما كانوا يمارسه العثمانيون من تمييز بين الأتراك وغيرهم من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، فقد كانت أغلب تلك الشعوب ترى نفسها ليست أقل من الأتراك الحاكمين ما دام الإسلام هو الذي يوحد الشعوب التي تؤمن به ^(٢٤)، قال رب العزة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٢٥) لا فضل لأحدهم على الآخر لأن التقوى هي ميزان التفاضل فيما بينهم ﴿ إِنِ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ ^(٢٦).

عندما أطل الدستور العثماني من الاستانة معلنا بداية عهد جديد يحمل تباشير الحرية ^(٢٧). وعبد المحسن الكاظمي شاعر الارتجال يعد في طليعة الطبقة الأولى من شعراء هذا العصر ومن المهتمين لشعبه بإعلان الدستور العثماني ظنا منه أن الدستور فتح بابا للحرية وقد أنشد ^(٢٨):
لواك على كل المنازل خافق
بكل فم تحلو وفي كل خاطر
صبونا لمراك البديع كما صبا
ولما تبين إلا وهذا مصافح
طلعت طلوع الفجر ما فيك ريبة
وذكرت في كل المحافل عابق ^(٢٩)
فلفظك سيال ومعناك رائق
لمعشوقه عند الزيارة عاشق
ترنحه البشرى وهذا معانق ^(٣٠)
وجئت كما جاء الربيع المغادق

فقد كان الكاظمي من الذين دعو إلى الثورة على الأتراك ومحاربتهم والتخلص من نيرهم وقد كرر دعوته هذه في قصائد عدة وحض قومه على إنتهاز فرصة الحرب العالمية الأولى للقيام بهذه الثورة وحذر من فواتها ^(٣١) ومن ذلك قوله ^(٣٢):

- ٢٣- الكاظمي شاعر الكفاح العربي (الحلقة الثانية): ٩٠.
٢٤- مجلة صدق كربلاء العدد: ٩/١٠، مقالة أ.د. عبود جودي الحلي، كلية التربية، جامعة كربلاء.
٢٥- الحجرات: ٨.
٢٦- الحجرات: ١٢.
٢٧- ينظر دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان عبد الهادي آل طعمة: ٥٧.
٢٨- ديوانه، ط / لندن: ٤٠٥.
٢٩- عابق: من عبق به عبقا اي لزمه، لرق به، لسان العرب: ٢٣٤/١٠.
٣٠- المغادق: من الغدق: اي المطر الكثير العام، م.ن: ٢٨٢/١٠.
٣١- ينظر شاعر العرب، د. محسن غياض: ١٢٦.

كم فرصة سنحت فكفكفها
واليوم أحسنها يمر بنا
ولئن تغمنا بوادرها
عن نيلها الإهمال والكسل
فلئن تفت فالتكل والهبل
فهنا لك الإسعاد والنفل

وقد سخر من وعود الأتراك للعرب لكسبهم إلى جانبهم فقال محذرا^(٣٣):
قال الأعادي سوف ننصفكم
لم ينهجوا للعدل منهجه
لا تذهبن برشدكم عمدة
خوضوا غمار الحرب وابتدروا
تخلي ميادين النزال لكم
كذبوا فكم وعدوا وكم مطلوا^(٣٤)
كلا ولا عن ظلمهم عدلوا
تلك الوعود بروقها ضلل
تلك البحار خضمها وشلوا^(٣٥)
إن قيل أن العرب قد نزلوا

وعندما انطلقت الثورة العربية فعلا سنة ١٩١٦م بقيادة الشريف الحسين بن علي كان الكاظمي من أكبر المؤيدين لها وأشدهم حماسا وتعددت قصائده الثورية التي كانت تنشر في صفوف الثوار في الجبهات التي يحاربون بها وأشاد بهم وحضهم على مواصلة القتال والصمود وتذكيرهم بمظالم الأتراك واستبدادهم ثم مدحا لقادة الثورة وثناء عليهم وقد اتصل الكاظمي بالشريف حسين وابنائهم عبد الله وفيصل وعلي وله عدة قصائد في مدح الشريف حسين والإشادة بفضله ومنها قوله^(٣٦):

من شاء أن يكسي العلي فلينتم
هذا الحسين وذاك أول من دعا
ذو عزمة جعل الإله شبلتها
للخمسة الأعلى من أهل الكسا
والرأس أولى بالعلل أن تراسا
نقما تصب على الطغاة وأبؤسا

ولعل السبب وراء وقوف الشاعر وبقية أدباء العراق الذين كانوا يوافقوه الرأي ضد الدولة العثمانية وتفشي مظاهر التفسخ في الولايات العراقية وشيوع الرشوة إذ كانت أعلى المناصب والوظائف معرضة للثراء من ضمنها الولاية نفسها وكان هذا يستدعي صراعا على السلطة فتشتري ذمم الناس وضمائرهم بالأموال التي تجي باسم الضرائب ولم تكن الحياة الثقافية أحسن حالا من الصورة الاجتماعية^(٣٧)، وما يهمنا من هذا هو الشاعر وموقفه الرافض لهذه الحالة السيئة فلا عجا نراه يبايع قائد الثورة العربية ويسميه ملك العرب نحو قوله^(٣٨):

ملك وهل للعرب مثل حسينها
أحبي رجاء العرب من بعد موته
ملكك توالى منه وأب بر
أسيفك أمضى أم عزيمتك البكر

٣٢- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ١٥.

٣٣- م.ن: ١٤٧.

٣٤- المظل: التسوييف والمدافعة، لسان العرب: ١١ / ٦٢٤.

٣٥- الوشل: الماء القليل، م.ن: ١١ / ٧٢٥.

٣٦- ديوانه (المجموعة الثانية)، ط / مصر: ٢٧٨.

٣٧- ينظر الأدب العربي الحديث، د. سالم أحمد الحمداني: ٢٣.

٣٨- ديوانه (المجموعة الثانية)، ط / مصر: ٢٧٨.

المبحث الثالث: موقف الكاظمي من الاحتلال البريطاني

الاحتلال البريطاني للعراق ومنذ بداية أمره قد صدم الناس وأصابهم بالذهول وتركهم صرعى يتخبطون في بيداء الحياة لا يدرون ماذا يفعلون. وقد ظهر أثر ذلك جلياً على الشعراء أنفسهم ذلك لأن من نظم منهم في التنديد بهذا الاحتلال قلة قليلة لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحد، فكان هذا الاحتلال قد ألجم أعنتهم وأخرس أعلامهم ولكن ما نظم من شعر في هذه الفترة أن دل على شيء فأما يدل على حيوية هذا الشعب الذي لم يستم على ضيم، ولقد ناصر هذا الشعر قضية العراق العادلة وانبرى يدافع عن أحقيته في الحرية والاستقلال ويكشف عن ألعيب الاستعمار وخداعه المتواصل وعلى هذه الصورة. ويوم بعد يوم بدأ الشك في وعود الحلفاء يتسرب إلى نفوس الناس جميعاً واتضح لديهم أن هؤلاء الحلفاء ما اطلقوا هذه البلاد من الأسر إلا لكي يأسروها هم بأنفسهم^(٣٩).

ولقد وضحت هذه الظاهرة في شعر الكاظمي فأنت ترى فيه دلالات قوية على مثل هذا الشك الذي أخذ يزحف إلى قلبه ووجدانه قليلاً قليلاً^(٤٠):

يصدق الوعد منهم والوعيد	قيل للعرب في الورى حلفاء
ليس عن سنة الوفاء نعيد	حلفوا بالعلى لنا وحلفنا
ربطتهم مواقف وعهود	أتراهم والعهد يوثق منا
أنجزت منهم إلينا وعود	أم تراهم والوعد ينجز منا
لست أدري أيا يريد المرید	صدق القائلون لكن أراني
وإذا كان فالخالف جود	فإذا كان فالخالف بأس

ومن مثل هذه المعاني - معاني الشك نستطيع أن نجد أمثلة أخرى في أكثر من موضع في قصائده التي نظمها في هذا الشأن.

ولما كان الشاعر مدركاً تمام الإدراك لعدم وفاء الإنكليز لوعودهم انقلب هذا الشك عنده إلى يقين إذ أدرك أن الحلفاء قد لحسوا وعودهم وكشفوا عن نواياهم الاستعمارية وأنهم ما جاءوا إلى هذه البلاد إلا لكي يستعبدوها هم بدلاً من الأتراك العثمانيين^(٤١).

حينئذ اندفع الشاعر إلى نظم القصائد التي تذكر الحلفاء بمواثيقهم ويعرب عن مماتلتهم وتسويقهم ويؤكد أحقية الشعب في أرضهم وممتلكاتهم ويفند مزاعمهم التي اختلقوها ومعاذيرهم التي راحوا يعلنون عنها للحيلولة بين الشعب وبين تحقيق إرادتهم في الحرية والاستقلال. وقد جاءت هذه القصائد كلها قوية في معانيها شريفة في مضمونها الإنساني كما يغلب على أسلوبها طابع من الجدل والمحااجة. فلنستمع إليه وهو يقول^(٤٢):

ألقى سوى التسوييف ردا	وإذا سألت فلم أكن
من قد حلفت بأن تودا	إن قلت أيمن الوديا
أن لا أراعي اليوم عهدا	قال السياسة تقتضي

٣٩- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، رسالة دكتوراه في الآداب، د. رؤوف الواعظ: ٦٣.

٤٠- ديوانه، ط / لندن: ١٤٩.

٤١- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٦٤.

٤٢- ديوانه، ط / لندن: ١٩٤.

ويشير الشاعر في قصيدته (مثنى)^(٤٣) إلى هذه المعاني نفسها، ويعرب عن شكه الذي استحاله إلى يقين في وعود الحلفاء في قوله:

يقيمنا ويقعد	كل مساء حادث
يسررنا ويكرم	وكل صباح نبأ
ما لم يصح السند	هل صح فينا خبر
ت الخبر المؤكد	هل عند غير النازل
يغشاك ليبل أريد ^(٤٤)	أخاف يا صبح المني
نا من عقال قيودوا	وأن يقال مطلقو
حاله المعقد	كيف تحل عقدة
بين الوري يوطد	قيل سلام ثابت
مطامع يستند	هل يثبت السلم على

فهذه المعاني توضح سخريته اللاذعة من وعود الإنكليز والتشكك في قيمة إدعاءاتهم وأقوالهم ويتساءل هذا التساؤل القوي المليء بالسخرية والتهكم في مثل هذا التعبير الجميل:

كيف تحل عقد حاله المعقد

فالإنكليز الذين بشروا بالسلام والحرية والاستقلال والذين أعلنوا أكثر من مرة أنهم ما جاءوا فاتحين ولا قاهرين وإنما منقذون ومحررون. وقد صاروا اليوم وبالا على هذا الوطن وحرية واستقلاله وما دعواهم إلى التحرير من رق الأتراك إلا بمثابة المخدر لهم ولما انحاز الناس إلى جانبهم وقاتلوا معهم بل انتصروا في الحرب بفضلهم عادوا فانقلبوا عليهم وغدروا بهم وأمعنوا في سلوك المراوغة والمخاتلة معهم^(٤٥)، ويشير الشاعر إلى سياسة المكر والخداع هذه فيقول^(٤٦):

ثم خانوا العهد بعد قليل	لست أشكو إلا آلي عاهدوها
من مباح المشروب والمأكول ^(٤٧)	ثممة في العدى تعد قرانا
ذهبوا بالسامين والمهزول	لم يجيء أرضنا المعادون إلا
حيث جاروا شهادة من عدول	أنقنوا الكيد والخداع ونالوا
من ضرور التغير والتضليل	كل ضرب لغشنا جربوه
أن شكونا ظلامنا للجليل	يشتكى الظالمون للسيف منا
قد شأنا بين الوري بالعويل	وعجيب من ظالم مستبد
قاتلا يشتكى من المقتول	من رأى والعجيب من الناس كثر

٤٣- م.ن: ١٧٦.

٤٤- أريد: من الريدة أي الغيرة، لسان العرب: ١٧٠/٣.

٤٥- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٦٥.

٤٦- ديوانه، ط / لندن: ٤١٣.

٤٧- النهمة: بلوغ الهمة في الشيء، لسان العرب: ٥٩٣/١٢.

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

وبعدها يزحف الهم والحزم على قلب الشاعر ووجدانه بسبب سياسة المكر والخداع وسلوك المراوغة والمخاتلة من قبل الإنكليز نجد الشاعر قد كثرت في شعره الدعوة إلى الحرب وطرده المستعمرين الدخلاء من وطنهم كما في قولهم^(٤٨):

ليس بمجدد عمل	ليس لنا فيه يد
وليس ثم مقصد	إن قيل تم المقصد
يا قوم أن تهـاونوا	فحـركم مسـتعبد
من نام عن أوطانه	فذاك حميت يلحد ^(٤٩)
ومن يمت دون حما	هـ فهو حـي يحمـد
الوطن الروح وما	أهلـوه إلا الجسـد
وكيف يسـهو بـدن	عن روحه ويرقـد
مجدي وما مجدي إلا	الوطن الممجـد

وهكذا يؤكد هذا المعنى قوله^(٥٠):

لا تجعلوا أوطانكم وبلا دكم	مغدى بـزاة أو مـراج نسـور ^(٥١)
لا تتركوا التأخير يعث بينكم	الـنجح آفـته من التـأخير
سيروا بأقدام الجسور ولا تنوا	خاب الجبان وفاز كل جسور ^(٥٢)

ويعضي الشاعر على حدث نيل الاستقلال بالقوة لأن النصر لا يتحقق إلا لمن أرادوه وصمموا على نبيله بالعزيمة الصادقة والإيمان الراسخ وإلى هذا يشير في قوله^(٥٣):

أني رأيت الأمر رأي مجرب	وشـعرت بالـحدثان أي شـعور
فعلمت أن أولى العزيمة أن سعوا	قدروا على ما ليس بالمقدور
لو أن لي عينا تطلوع عزمي	لغوا إلى الشعرى العـبور عبـوري
ولقمت للأوطان بالغرض الذي	هو فرش كل مهند مطرور ^(٥٤)
أأعيش والأوطان ليس حرة	للموت أولى من حياة بور

وعلى هذه الصورة نجد شعر الكاظمي ثورة على الظلم والحق أن هذا الشعر يمثل روحه التي لا تصبر على ضيم، ولهذا كان أثر هذا الانعكاس قويا في شعره شريفا في مقصده مدعوما بالحجة والمنطق وإيراد البراهين وقد كانت دعوته الصارخة هذه ودعوات غيره من الشعراء والزعماء والساسة قد ألهمت الحماسة في قلوب الناس إذ اندفعوا في قوة وإيمان ثابت لا يتزعزع إلى الثورة في وجوه الغاصبين، إذ لم تمر مدة طويلة

٤٨ - ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ٢١٩.

٤٩ - يلحد: أي مال وعدل، لسان العرب: ٣١٤/٥.

٥٠ - م.ن: ٢٢٩ - ٢٣٠.

٥١ - بزاة: جمع بازي: وهو من الطيور الجوارح، لسان العرب: ٣١٤/٥، المرج: الفضاء، لسان العرب: ٣٦٤/٢.

٥٢ - التواني في الأمر: التقصير فيه، م.ن: ٩٨/٥.

٥٣ - الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٧٠.

٥٤ - مهند مطرور: أي صقيل، لسان العرب: ٥٠٠/٤.

حتى تركت جموع الجماهير في ثورة (١٩٢٠م) في العراق فكان الكاظمي من الشعراء الملهمين للشوار وقد لعب شعره دورا في هذه الثورة^(٥٥).

الخاتمة

نستخلص من البحث ما يلي:

- إنَّ الشاعر عبد المحسن الكاظمي كان صاحب موقف ضد السلطة التركية وضد الاحتلال البريطاني لصالح الشعب العراقي خاصة والعرب عامة والعالم الإسلامي بشكل أشمل.
- انتزع الشاعر ألقاب تاريخية تعكس مواقفه الجادة للقضايا التي تصدى لها ومن هذه الألقاب (شاعر البداة والارتجال) و (شاعر العرب) و (شاعر الكفاح الخالد).
- سجل الكاظمي من خلال شعره التقلبات السياسية فكان شعره يحق سجل يعكس الحياة السياسية والاجتماعية في عصره فجاء شعره يعكس لنا شخصيته الشعرية التي جمعت بين المتانة والفصاحة والبلاغة والجزالة وبين نزعتة الوطنية التي كانت تدفعه لمقارعة الاستبداد والاستعمار.

المصادر والمراجع

١. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمداني و د. فائق مصطفى أحمد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الكتب، بغداد.
٢. أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث، فؤاد القرقون، سلسلة (حوار الثقافات والحضارات)، الدار العربية للكتاب.
٣. دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان هادي آل طعمة، دار البيان العربي، ط، ١٩٩٣م، بيروت.
٤. ديوان الكاظمي (المجموعة الأولى)، دمشق، ١٩٤٠.
٥. ديوان الكاظمي (المجموعة الثانية)، مصر، ١٩٤٨.
٦. شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي حياته وشعره، د. محسن غياض، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٧. عبد المحسن الكاظمي سيرة وشعر وفكر، سعاد محمد الزبيدي، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩م.
٨. الكاظمي شاعر الكفاح العربي، الحلقة الثالثة، عبد الرحيم محمد علي، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف.
٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، ط١، دار الصادر — بيروت، (د.ت).
١٠. معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث، ولهم ديوان مطبوع، الجزء الأول، د. جعفر صادق حمود التميمي.

٥٥ — ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٧٠.

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

١١. معجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، مدلد (٢)، ص ٨٨٥، ط ٢، ١٩٩٩م، بيروت.

الأطاريح والرسائل الجامعية:

١- الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، د. رؤوف الواعظ، دار الحرية، ط ١، ١٩٧٤م، بغداد.

٢- عبد المحسن الكاظمي سيرة حياة وفكرة الانسجام الثنائي بين الصورة والمعنى في شعره، سعاد محمد الزبيدي، د. جلال الخياط، رسالة جامعية، ٢٠٠١م.

المجلات:

- مجلة صدى كربلاء العدد (١٠)، مقالة أ.د. عبود جودي الحلبي، كلية التربية، جامعة كربلاء.